قراءة في الحديث الصحفي لخادم الحرمين الشريفين:

الدور الفعال والمستمر في معالجة "الآلام" العربية

قراءة: خالد طه (جدة)

تتسم احاديث خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز عادة ببعد في النظر والرؤية.. وحكمة قطرية في تحليل الأمور والمستجدات والابعاد.. وتلقائية في الطرح المتعمق للقضايا المصيرية سواء كانت على المستوى الداخلي المحلي أو على المستوى الاقليمي أو العربي أو الدولي.

كل تلك الاوصاف انطبقت تماما على الحديث الصحفي للمليك المفدى الذي تلمس فيه مواضع «الألم» العربي.. ولم يقف رعاه الله عند ذلك.. بل يخطط لكيفية اعطاء العلاج الذي يداوي هذه الآلام والجروح:

المصلحة السورية

من حديثه عن «النصح» الذي قدمه للرئيس السوري يبدو واضحا مدى اهتمام الملك عبدالله بالشأن العربي ليس من باب التدخل في الشؤون الداخلية او الخارجية.. ولامحاولة لاثبات وجود أو البحث عن دور ما.. ولكن من باب الأخوة والصراحة والمحبة التي تكنها المملكة حكومة وشعبا للشقيقة السورية انطلاقا من مبدأ الشراكة والتعاون فضلاً عن الدين واللغة.. وانطلاقا من الرؤية الثاقبة في قراءة الاحداث المستقبلية.. والرغبة الأكيدة في تجنيب المنطقة كل ما يمكن ان يؤثر على مساراتها المستقبلية لان من المعلوم ان اي تعثر يحدث لاية دولة عربية يعني تعثرا على كافة الخطوط العربية وخططها المستقبلية الرامية الى التطور والتقدم.

ورغم السلبية التي ردت بها سوريا على تلك النصائح الأخوية التي تهدف للمصلحة العليا لسوريا نفسها ولدول المنطقة الا ان رد الفعل السعودي لم يكن منفعلا أو متهورا على طريقة «ارفع يدك فهم احرار في قراراتهم» بل تمت مواجهته بالصبر واستمرار النصح وليس ذلك فقط.. بل بذل المحاولات تلو الاخرى بارسال مبعوثه الخاص الأمير بندر بن سلطان للتفاهم مع كل الاطراف المعنية لحل الاشكالات وتذليل الصعوبات بطريقة تحفظ كرامة سوريا خاصة وكرامة «العرب» بشكل عام.

ثم هناك الفهم الكامل والمتكامل للاوضاع الخاصة والعامة بالنسبة للدول وتحالفاتها حيث اشار المليك في حديثه الى ذلك الحلف القوي والتاريخي القوي بين ايران وسورية في معنى يتضمن ان أية حلول يتم السعي اليها يجب ان تنتظر بوعي الى هذا التحالف بين البلدين لان الواقع يقول ان محاولات هذا الفصل او السعي الى خطوط في منأى عن ذلك مكتوب لها الفشل مسبقا ولن تكون في مصلحة سورية أو المنطقة.

العلاقة بأمريكا

ورغم ارتياحه حفظه الله للعلاقات مع الرئيس الامريكي سواء كان ذلك في موضوع العلاقة الشخصية بالرئيس بوش او العلاقة العامة مع ادارته.. الا ان المليك طرح بشكل كامل تحفظاته على بعض مواقف الكونغرس الامريكي.. وهذا الطرح الذي جاء في كلمات قصيرة ومركزة شرحت ابعادا كبيرة ومتعددة عن مواقف الكونغرس الامريكي والقوى المسيطرة في داخله والتي تهدف دوما الى زعزعة الثقة بالمملكة تحقيقا لاهداف غير سوية وخطط ترسم من وراء ستار لنسف العلاقات السعودية – الامريكية التي هي في أحسن حالاتها خدمة لاغراض مشبوهة لاتنظر الى المصلحة الدولية العليا بقدر ما تنظر الى مصالحها الشخصية غير السوية او المقبولة.

ومرة اخرى.. يتحدث المليك في هذا السياق الى التحذير الذي وجهته المملكة من النتائج المحتملة عن الحرب على العراق والتي جاءت كما توقعتها المملكة واثبتتها الاحداث فيما بعد.. لان هذه الحرب فعلا خدمت المصلحة الإيرانية ولم تخدم الشعب العراقي حتى الآن.. بل إنها جاءت بنتائج عكسية ليس على العراق وشعبه فقط بل على مستوى المنطقة بأكملها.. ورغم ذلك كله لم تسمح المملكة لنفسها بالتدخل في الشأن العراقي وذلك ينم عن بصيرة وحكمة ثاقبة في هذا الاتجاه لان هناك اخطاء ارتكبت منذ البداية وأدت بالتالي الى ما نشاهده اليوم من عدم استقراره في هذا البلد العربي الشقيق.. ومهما فعلت المملكة أو دول اخرى فإن المسألة كما قال الملك عبدالله تظل بيد العراقيين انفسهم في اخراج بلادهم من هذا النفق المظلم الذي يسيرون خلاله ولا أحد يعلم مدى وحجم المخاطر التي قد تحيق بهذا البلد أكثر مما هو حادث الان.

الشأن الداخلي

تستمر كلمات المليك المفدى في هذا الحديث لتؤكد ما يلمسه الشعب السعودي على أرض الواقع:

«أنا من هذا الشعب.. ولافرق بيني وبين أحد منهم.. كل سعودي هو أنا.. وهم في رقبتي».

قمة التواضع.. وقمة الاحساس بالمسؤولية.. اذ ان الملك عبدالله يضع نفسه مكان اي مواطن من هذا الشعب.. وان الأمانة التي يحملها على عاتقه عظيمة وكبيرة حيث قال: إن الشعب السعودي أمانة في رقبته يسعى لتحقيق تطلعاتهم.. ويسعى لبذل كل ما يمكنه في سبيل رفعة ورقي هذا الوطن وهذا الشعب.

الارهاب

من المعلوم منذ وقت طويل ان رؤية خادم الحرمين الشريفين للارهاب والقائمين عليه رؤية واضحة ومحددة.. وكان حفظه الله من اوائل الذين دعوا لمقاومته ومكافحته واعتبره مرضا خبيثا يسري في جسد العالم وإن لم تتم محاربته بالشكل الصحيح والطرق المثلى فإن ذلك يعني الاتجاه نحو الدمار.. وكرر الملك المفدى مطالبته التي ينادي بها دائما للمجتمع الدولي بأسره لمحاربة الارهاب وتكوين جبهة دولية عالمية لمقاومته ووأده حيثما كان وأبدى رؤيته الثاقبة في انه لايمكن القضاء على هذا الداء الخبيث بشكل كامل الا اذا تحالف العالم كله في محاربته ومحاربة عناصره ومن يقومون به او يدعمونه ويمولونه.

الشأن الفلسطيني

اوضح المليك ايضا انه يريد منح عملية السلام فرصة خاصة بعد ظهور عمير بيرتس كقائد لحزب العمل.. وهنا نظرة متأنية ومتفائلة لاتستبق الاحداث او تجري امامها.. بل تأن.. وصبر.. لرؤية ما تتمخض عنه الأحداث ليتم اتخاذ القرارات السليمة والصحيحة على اساسها.. ولايمكن الحكم الآن على عملية السلام او توقفها او استئنافها لان هناك احداثا تجري داخل اسرائيل وداخل حزب العمل خاصة الامر الذي يتطلب منا كعرب.. كما يتطلب من الفلسطينيين انفسهم عدم الاستعجال بل يتطلب حذرا ودقة في التعامل مع الوضع الداخلي ليس في الساحة السياسية الداخلية لاسرائيل فقط بل حتى في الساحة السياسية الداخلية لفلسطين كذلك.. ويتطلب كذلك رؤية صحيحة لما يحدث من تغيير في السلطة الحاكمة في اسرائيل.. اذ يجب ان نعمل على المساعدة في مجمع معسكر السلام المتشتت في اسرائيل والذين يدعون دائما الى وجوب تحقيق السلام والأمن الشامل لتعايش كل الاطراف في أمن وطمأنينة.. وكل ذلك لن يتأتى في النهاية الا بجمع شمل الفلسطينيين انفسهم اولا لان كافة التحديات سواء كانت سلاما أو حربا ومهما كانت نوعيتها تتطلب جبهة واحدة تتمكن من المواجهة والدفاع في حالات الحرب.. وتحقيق الاستقرار والطمأنينة في حالة السلام.

معالجة الآلام

الدعوة التي وجهها الملك عبدالله لعقد المؤتمر الاسلامي في مكة المكرمة الشهر القادم لم تأت عبثا.. بل جاءت لرغبته الأكيدة في لم شمل الدول الاسلامية وتكوين جبهة موحدة في مواجهة الفكر الارهابي والفكر المبرر للارهاب ومواجهة الارهابيين انفسهم لاننا في مملكة ليست دولة منغلقة على نفسها لايعنيها ما يحدث للاخرين.. بل هي دولة منفتحة تضع نفسها موضع المسؤولية عن كل مسلم في اي بقعة من بقاع المعمورة ونتألم لأي هزة تحدث في اي بلد عربي أو مسلم انطلاقا من مسؤوليتنا الكبرى التي نحملها بين ثنايا صدورنا ومشاعرنا التي تكن كل الحب والخير لكل العالم.. الأمر الذي يجعلنا نسعى بكل جهد الى ان يعم السلام والأمن كل اطراف المعمورة ليتفرغ الانسان الى النظر للمستقبل للتطوير والتحديث وامتثالا لما حث عليه ديننا الحنيف من اعمار الارض. هذا المؤتمر فرصة عظيمة تتيحها المملكة.. ويتيحها خادم الحرمين الشريفين لمعالجة الآلام.. ومعالجة الجروح التي تعبث في الجسد العربي والاسلامي.. فرصة لتداول المشكلات والخلافات ورأب الصدع ووضع الحلول الملائمة والجذرية لتعود الأمة الاسلامية بشمل موحد ورؤية موحدة في مواجهة كل ما يمكن ان يسيء لهذه الأمة أو يحاول النيل منها. وجملة القول هنا.. ان المملكة وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين ستظل على هذا الخطى.. تعمل لنفسها.. وتعمل للاخرين في نفس الوقت لكل ما فيه خير شعبها وامتها.. وعالمها العربي والاسلامي.. بل والعالم اجمع.